الندوة الوطنية
محمد بن عبد الكريم الخطابي: رمز النضال الوطني

د. محمد زايد

أستاذ باحث في اللغة وعلم الاجتماع
المملكة المغربية

د. الحاج ساسيوي

أستاذ باحث في التاريخ المعاصر
المملكة المغربية

بيانات الندوة

مكان الانعقاد:
المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين
بتشراكة مع مركز محمد بنسعيد ايت إيدر

الزمان: ٩ يناير ٢٠١٤
مكناس – المملكة المغربية

كلمات مفتاحية:

المقاومة المغربية، استقلال المغرب، المغرب المعاصر، الذاكرة الوطنية، الأمير الخطابي

مُقَدِّمَة

تكتسي دراسة تاريخ المقاومة المغربية للاحتلال الأجنبي عامة، والمقاومة الريفية بزعامة محمد بن عبد الكريم الخطابي خاصة، اهمية بيداغوجية وعلمية، ذلك أنها كانت عنوانًا لهزيمة إسبانيا العسكرية وإعلانًا لفشل مشروعها الاستعماري. وتأتي هذه الندوة تزامنًا مع الذكرى السبعين لتقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال، وإحياء الذكرى التي ظلت منسية بشكل مقصود أو غير مقصود، وكذا لرد الاعتبارات للمقاومة المغربية بزعامة محمد بن عبد الكريم الخطابي الذي يعتبر رمزًا وطنيًا لكل المغاربة، بل لكل حركات التحرر في العالم، لأن ثورته كانت درسًا لكثير من السياسيين والثوار وعلى رأسهم "ماو تسي تونغ"، و"تشي غيفارا" وغيرهما.

انقسم الحيز الزمني المذكور للندوة، إلى فترتين رئيسيتين:

– **فترة صباحية، أدار أشغالها الأستاذ الدكتور الحاج ساسيوي،[١] تضمنت هذه الفترة عروضًا معرفية أكاديمية قيمة وفق التسلسل الخطي التالي:**

- قراءة في كتاب "صفحات من ملحمة جيش التحرير بالجنوب المغربي" للمقاوم ورجل السياسة المغربي الكبير محمد بن سعيد ايت إيدر. ألقى هذا العرض الأستاذ الدكتور محمد العمراني.[٢]
- قراءة في كتاب وثائق جيش التحرير بالجنوب المغربي، من سنة ١٩٥٦ إلى سنة ١٩٥٩، قدمه الأستاذ: جمال الحيمر.[٣]

– **فترة مسائية أدار أعمالها الأستاذ الدكتور محمد زيدان.[٤] وقدمت فيها العروض الآتية:**

- "كلمة حول محمد بن عبد الكريم الخطابي" للمقاوم والسياسي المغربي الكبير: محمد بن سعيد أيت إيدر.[٥]
- "محمد بن عبد الكريم الخطابي والمغرب المستقل" للأستاذ الدكتور رشيد اليشوتي.[٦]

(١) أستاذ التعليم العالي مساعد، تاريخ معاصر، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، مكناس

(٢) أستاذ التعليم العالي مؤهل، تاريخ وسيط، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، مكناس

(٣) أستاذ التعليم العالي، تخصص تاريخ معاصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولاي إسماعيل، بمكناس.

(٤) أستاذ التعليم العالي مساعد، لغة عربية، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، مكناس.

(٥) مقاوم وسياسي مغربي كبير.

(٦) أستاذ التعليم العالي، تاريخ معاصر، جامعة محمد الخامس بالرباط.

"المشروع التربوي عند محمد بن عبد الكريم الخطابي" للأستاذ الدكتور عبد الرحمن الطيبي.[٧]

- "مكانة محمد بن عبد الكريم الخطابي في الذاكرة الوطنية" للأستاذ الدكتور ميمون أزيزا.[٨]

الفترة الصباحية

قبل الانطلاق الفعلي لأشغال هذه الندوة الوطنية الكبيرة، في الفترة الصباحية، استهل رئيس الجلسة، الدكتور الأستاذ الحاج ساسيوي، الكلام بالترحيب بالحاضرين، وعلى الخصوص المناضل والمقاوم الكبير محمد بن سعيد أيت إيدر، وذكر بموضوع الندوة. واعتبر الحاج ساسيوي أن محمد بن عبد الكريم الخطابي هو الأب الروحي للمقاومة الوطنية المغربية، فهو ملهمها وزعيمها الأول، حيث تشكل سيرته وأعماله مدرسة نضالية وجهادية بشهادة وإجماع المهتمين داخل الوطن وخارجه. بعد هذا التنويه بشخصية المجاهد الكبير محمد بن عبد الكريم الخطابي، اسند رئيس الجلسة الحاج ساسيوي الكلمة لمدير المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، مكناس-تافيلالت، الأستاذ السيد أحمد حميد.

كلمة السيد مدير المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، مكناس تافيلالت. مركز مكناس:

رحب السيد المدير، أولاً، بالرجل المقاوم المناضل المغربي محمد بن سعيد أيت إيدر، باعتباره شخصية مناضلة ورمزًا كبيرًا للنضال الوطني، واعتبر أن لقاء الندوة يشرف المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، وأبرز أن هذا المركز، منذ إنشائه سنة ١٩٧٥، لم يألُ جهدًا في التأطير والتأهيل على مستوى التكوينين: الأساس والمستمر، فتلك مهمته التي ينبغي أن ترسخ وتتعمق. وفي هذا الإطار، يوضح السيد المدير، تندرج هذه الندوة الكبرى وتنعقد في رحاب هذا المركز، استجابة للطلب الملح من الجهات المنظمة، والغاية الكبرى، بالطبع، هي العمل على تحقيق أهداف ثقافية واجتماعية، وبالخصوص تربوية، على رأسها: الحفاظ على الذاكرة الجماعية والتذكير بأهمية وثيقة الاستقلال، بوصفها سبيلا من سبل استرجاع الحرية، وكل ذلك للمساهمة في إرساء ثقافة نضالية.

واعتبر السيد المدير، في كلمته الافتتاحية، أن من أهداف اللقاء تكريم المناضل والمقاوم الكبير محمد بن سعيد ايت إيدر، من جهة وإبراز الملحمة الكبرى التي سطرها بطل ثورة الريف محمد بن عبد الكريم الخطابي في سجل المقاومة والتحرير، إن هذه الصفحة الناصعة، من تاريخ النضال الوطني في المغرب، تعد مرجعية، ومحط اعتزاز وفخر حقيقيين للمغاربة الطامحين لبناء الثقافة الديموقراطية ورفع التحديات المختلفة. وفي نهاية كلمته، أعاد السيد المدير ترحيبه بالحاضرين ودعا الأساتذة المتدربين إلى الاستلهام والاعتبار بأشغال هذه الندوة، لما لها من فوائد جمة في تعميق التكوين وصقل المعرفة بتاريخ النضال المغربي والاقتداء بمسلك العظماء الذين يعتبرون أسوة حسنة لبناء مسار مجتمع حداثي متنور. وأحال السيد رئيس الجلسة الكلمة للسيد مدير "مركز محمد بن سعيد أيت إيدر" للدراسات والأبحاث.

كلمة السيد مدير "مركز محمد بن سعيد أيت إيدر للدراسات والأبحاث":

شكر السيد مدير المركز، في مستهل تدخله، اللجنة المنظمة للندوة، من جهة، وشكر مسؤولي المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، على رأسهم مدير المركز، لما بذلوه من جهود وتضحيات من أجل توفير الظروف الملائمة لانعقاد أعمالها، من جهة أخرى. وقسم مدير "مركز محمد بن سعيد أيت إيدر للدراسات والأبحاث" كلمته إلى موضوعين:

أولاً: التعريف بمركز الأبحاث والدراسات الذي يدير أشغاله

تأسس "مركز محمد بن سعيد أيت إيدر للدراسات والأبحاث" سنة ٢٠١٢، كان ذلك نتيجة اقتناع وإجماع مجموعة من الفاعلين في مجال الفكر والسياسة والمجتمع بأن المغرب يعرف تدهورًا وانحطاطًا على مستوى الوضع الثقافي العام، وهو ما يعارض ويعرقل قيام دولة ديموقراطية حداثية مبنية على قيم المعرفة والمواطنة الحقة. وقد جاء إنشاء هذا المركز لتعزيز هذه القيم، من خلال جعل هذه المؤسسة قائمة على مبدأ الانفتاح على كل التوجهات والتيارات والاختيارات ومؤسسات المجتمع المدني، فالمركز كيان مستقل لبناء الثقافة المستنيرة. وعرض مدير المركز كثيرًا من الأنشطة الثقافية البارزة التي نفذها المركز، من أبرزها:

- ندوة بالدار البيضاء في موضوع: المغرب العربي.
- مقاومة الشمال بتطوان.
- عن حركة ٢٠ فبراير.
- تكريم المقاوم محمد الجبلي.
- أرشيف محمد بن سعيد أيت إيدر (مجموعة من الوثائق النادرة).

ثانيًا: موضوع الندوة

أما في موضوع الندوة، فقد بين مدير "مركز محمد بن سعيد أيت إيدر للدراسات والأبحاث"، أن الندوة تنعقد في إطار تطابق التوجهات بين مركز الأبحاث والدراسات وبين المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، وهدفهما، معا، ليس المدح والإطراء، وإنما تقديم صورة مشرفة لكبار المقاومين وشهداء معركة الحرية والاستقلال باعتبارهم قدوة وبوصف بطولاتهم منهج طريق لبناء مجتمع ديموقراطي حداثي مستنير بأنوار صفحات الكفاح والنضال التي

(٧) أستاذ التعليم العالي، جامعة محمد الخامس بالرباط.

(٨) أستاذ التعليم العالي، تاريخ معاصر، جامعة المولى إسماعيل، مكناس.

حمل لواءها رموز النضال الوطني: محمد بن عبد الكريم الخطابي، محمد بن سعيد أيت إيدر، علال الفاسي، محمد بلعربي العلوي، محمد بن الحسن الوزاني وغيرهم. وبعد انتهاء مدير "مركز محمد بن سعيد أيت إيدر للدراسات والأبحاث" من كلمته هذه، منح رئيس الجلسة الصباحية الإشارة للانطلاق الإجرائي لفعاليات الندوة وكان أول عرض، في هذا الاتجاه، هو العرض الذي قدمه الأستاذ الدكتور محمد العمراني.

قراءة في كتاب "صفحات من ملحمة جيش التحرير بالجنوب المغربي" لمحمد بنسعيد آيت إيدر للأستاذ الباحث محمد العمراني.

كان عنوان العرض بالضبط هو: حضور الوثيقة الوطنية وأهميتها في دراسة التاريخ الراهن في المغرب من خلال قراءة في كتاب "صفحات من ملحمة جيش التحرير بالجنوب المغربي" لمحمد بنسعيد آيت إيدر.[٩] سلم صاحب العرض، في البداية، بأن هدفه من القراءة هو تقديم بعض الملاحظات من شأنها التعريف بالقيمة العلمية لهذا المُؤَلَّف الذي يتحدث عن مرحلة غامضة من تاريخ المغرب المعاصر. فهذا الكتاب يُعتبر وثيقة تاريخية لمرحلة الكفاح من أجل استكمال استقلال المغرب ووحدته الترابية خاصة في المرحلة الممتدة ما بين ١٩٥٥ و ١٩٦٠، صدرت الطبعة الأولى منه في يونيو ٢٠٠١ بالدار البيضاء، تكمن أهمية هذا الكتاب في اعتبارات متعددة:

- كونه وثيقة تاريخية لمرحلة الكفاح من أجل استكمال استقلال المغرب: رسائل، وتقارير، صور جيش التحرير، ثكنات تدريب فرقه العسكرية،
- اعتبار صاحبه شَاهد عيَّان على المرحلة، وفاعلاً في الأحداث والوقائع، فهو أحد قادَة جيش التحرير، وهو ما يُعطي لشهادته بُعْدًا كبيرًا ورمزيةً خاصة.
- صدوره في سياق حفظ الذاكرة الوطنية المغربية، في ظل مشروع علمي على مستوى الكتابة التاريخية.

وأرجع صاحب العرض تميز الكتاب ومؤلفه إلى التكوين العلمي في مجال البحث التاريخي أثناء إقامته في فرنسا من جهة أولى،[١٠] ثم المسافة الزمنية التي أخذها من أجل التفكير في الموضوع وتحليل قضاياه المتشعّبة. ثم عرج الأستاذ الباحث في التاريخ محمد العمراني، إلى طريقة وأسلوب العرض في كتاب المناضل والمقاوم المغربي الكبير محمد بن سعيد أيت إيدر، وأبرز أن فصول هذا الكتاب نُظمت بأسلوب تحليلي واضح قَدَّمَ فيه الكاتب وصفًا للمعارك والأحداث المختلفة بشكل دقيق مع تعليقات على الوثائق بالاستناد إلى أساس مرجعي وهو معيار القيمة العلميةً لهذا الكتاب. وقد أورد العارض قولاً للمؤلف يبرز هذه الميزات المعرفية والأدبية بقوله: "وأود الإشارة إلى أنني استهدفت من وضع هذا العمل المساهمة في التوثيق وإلقاء الضوء على تلك الحقبة من تاريخنا الوطني المعاصر وإماطة اللثام على جزء مهم من الحقائق التي ما تزال طي الكتمان كخُطوة من الخطوات الهادفة إلى تيسير دراسة هذه المرحلة واستيعاب دروسها من أجل فهم الحاضر وبناء المستقبل".[١١]

وختم صاحب العرض مداخلته بتساؤل ودعوة مخلصة، فكان التساؤل: "إذا كان الأستاذ محمد بنسعيد آيت ايدر قد كان في الموعد، وقَدَّم للباحثين مادة علمية غزيرة، فهل كان الباحثون في حقل الدراسات التاريخية في مستوى هذه المسؤولية العلمية؟" وأما الدعوة فبقوله: "وحتى لا أنفرد بمتعة قراءة هذه المرحلة من تاريخنا الوطني أدعو جميع الباحثين والمهتمين بقراءة هذا العمل الجاد للأستاذ والمناضل محمد بنسعيد آيت ايدر". وبعد انتهاء العارض من عرضه شكره رئيس الجلسة، وأسند الكلمة للعرض الموالي وهو بعنوان: قراءة في وثائق جيش التحرير بالجنوب المغربي. من ١٩٥٦ إلى ١٩٥٩، للأستاذ الباحث جمال الحيمر.

عرض ذ.جمال الحيمر:

في مبتدأ الكلام نوه الأستاذ الباحث بشخصية المقاوم محمد بن سعيد آيت إيدر باعتبارها شخصية وطنية أغنت الفعل النضالي بالمغرب كما أغنت الذاكرة الوطنية والخزانة الثقافية من خلال ما أسدته من خدمات جلى لهذا الوطن. من وجهة ثانية نوه العارض باللقاء الذي جمع أساتذة باحثين ومكونين وأساتذة متدربين، وهدف اللقاء، بالطبع، تعميق التكوين واستكماله من خلال، ما سماه بتنويع العرض البيداغوجي. وقد عرج الباحث، بعد هذه المقدمة، إلى ذكر السياق والمساق الذي أحاط بلحظة صدور الكتاب محط القراءة، ثم قدم تعريفًا إجماليًا بشكله ومضامينه، مركزًا على القيمة المضافة لهذا الكتاب المتمثلة في التنوير والتهذيب. وقارن الأستاذ الباحث بين كتابي المقاوم الفذ محمد بن سعيد آيت إيدر: "صفحات من ملحمة جيش التحرير بالجنوب المغربي" وكتابه: "وثائق جيش التحرير بالجنوب المغربي من ١٩٥٦ إلى ١٩٥٩"، حيث اعتبر الباحث أن المؤلف ساهم بصورة فعالة في إغناء صفحات تاريخ المغرب المعاصر، كما ساهم في الدفع بدفة الفعل السياسي إلى آفاق بناء المجتمع الديموقراطي والفكر الحداثي وتراجع الخطوط الحمراء في الكشف عن حقائق وأسرار تاريخ المغرب المعاصر. وفي ختام هذه الصبيحة نوه رئيس الجلسة بحضور السيد عثمان المنصوري رئيس الجمعية المغربية للبحث التاريخي، والذي ألقى كلمة باسم هذه الأخيرة.

(٩) محمد بنسعيد أيت إيدر، صفحات من ملحمة جيش التحرير بالجنوب المغربي، مطبعة التيسير، المنشورات المواطنة، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، ٢٠٠١.

(١٠) يشير الكاتب إلى إعداده لبحث حول المقاومة المغربية في الدراسات المعمقة بجامعة فانسان، المرجع نفسه، ص١٣.

(١١) المرجع نفسه، ص١٢.

جلسة المساء:

أدار هذه الجلسة الأستاذ الدكتور محمد زيدان. انطلقت الجلسة بالعرض الجدير بالتنويه والقيم الذي قدمه ضيف شرف هذه الندوة العظيمة المقاوم ورجل السياسة الكبير المناضل محمد بن سعيد أيت إيدر، كان هذا العرض تحت عنوان: "كلمة حول محمد بن عبد الكريم الخطابي". استعرض محمد بن سعيد أيت إيدر في هذه الكلمة تاريخ مرحلة النضال من أجل الاستقلال التي خاضها المغاربة ضد المحتلين الإسباني والفرنسي. وكان محور الحديث ينصب أساسًا على موقع المجاهد الرمز والقائد الملهم الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي (مولاي محند) في هذا السياق. لقد حاول المقاوم والسياسي المغربي السيد محمد بن سعيد أيت إيدر أن يستوفي الحديث عن البطولات والإنجازات التاريخية التي حققها الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي لكنه لم يستطع، لأن هذا الحديث لن تستوفيه الساعات من الحديث ولا كلام الأفراد، بل يحتاج إلى مؤسسات للبحث التاريخي تعيد قراءة هذا التاريخ وتجيب عن كثير من الأسئلة الإشكالية التي ما تزال بحاجة إلى مزيد بيان لإضاءة صفحات ينتابها الغموض وتشوبها الضبابية.

تتابع الندوة أشغالها بالعرض الجيد والمثير الذي قدمه الأستاذ رشيد يشوتي، تحت عنوان: "محمد بن عبد الكريم الخطابي والمغرب المستقل"، أثار الباحث في هذا العرض مسألة التسمية، حيث أطلق اسم الأب على الابن، فقد شاع تسمية الأمير المجاهد باسم عبد الكريم الخطابي ولكن الأصل هو محمد بن عبد الكريم الخطابي، وقد تداولته السلطات الاستعمارية الإسبانية والفرنسية بهذا الصيغة اللفظية حيث شاع وانتشر، وأبرز الباحث أن الأمير المجاهد كان يدعى "مولاي محند"، معتمدًا على قول لإحدى بنات الأمير. قطع الأمير المجاهد، قيد حياته، بحسب مداخلة الأستاذ رشيد اليشوتي، أربع مراحل نوجزها في الترسيمة التالية:

(١) مرحلة الموالاة للاستعمار الإسباني.
(٢) مرحلة الثورة وتجسدها معركة "أنوال".
(٣) مرحلة المنفى في جزيرة لارينيون.
(٤) مرحلة اللجوء إلى مصر وإدارة المقاومة من القاهرة حيث قاد لجنة تحرير المغرب العربي التي جمعت قياديين وزعماء أحزاب مغاربيين.

عرض الباحث بإسهاب لسيرة الأمير المجاهد، كما عرض لقضايا أثيرت بعد موته كنقل رفاته إلى المغرب التي لم تحسم بعد، وعلاقته بالمخزن وبقادة الأحزاب السياسية المساهمة في توقيع وثيقة الاستقلال. وبعد إنهاء الأستاذ الباحث في التاريخ المعاصر السيد رشيد اليشوتي مداخلته، غادر، مقر الندوة، المقاوم المناضل ورجل السياسة في المغرب المعاصر محمد بن سعيد أيت إيدر متوجهًا إلى مدينة الدار البيضاء صحبة رئيس مركز محمد بن سعيد أيت إيدر للدراسات والأبحاث المساهم الرئيس في إقامة الندوة إلى جانب المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، وأسند رئيس الجلسة محمد زيدان تناول الكلمة في هذه الندوة الهامة إلى الأستاذ عبد الرحمان الطيبي، ليقدم مداخلته تحت عنوان: "المشروع التربوي عند محمد بن عبد الكريم الخطابي".

اعتبر المتدخل تحليل تجربة الأمير المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي تحليلاً علميًا من جميع زواياها مطلبًا معرفيًا ملحًا. وعلى الأخص، من الوجهة التربوية، حيث يمكن القول: إن الأمير المجاهد كان يحمل مشروعًا تربويًا تعليميًا متكاملاً. ويعني ذلك، بوضوح، أن الأمير (مولاي محند) كان يملك رؤية استراتيجية متعددة الأبعاد، والدليل أنه اهتم بتدريس اللغة الأمازيغية إلى جانب الإسبانية في المدارس المغربية الواقعة في منطقة الريف. إن ثورة محمد بن عبد الكريم الخطابي ثورة جامعة بين مقاومة الاحتلال وبين إنشاء مشروع الدولة الوطنية الديموقراطية المتحررة التي ترسخها منظومة التربية والتعليم. لذلك يرى الباحث أن قراءة هذه التجربة ستكون ملهمة وقيمة مضافة لمنظومة التربية والتكوين المغربية الحالية.

انتقلت الكلمة بعد مداخلة الأستاذ عبد الرحمان الطيبي إلى الأستاذ ميمون أزيزا، كانت مداخلة الأستاذ ميمون بعنوان: "مكانة محمد بن عبد الكريم الخطابي في الذاكرة الوطنية". كانت الفكرة المركزية، في هذه المداخلة، هي أن الأمير المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي رمز كبير في الذاكرة الوطنية، إنه حاضر بقوة، حيث يمارس تأثيرًا كبيرًا في الفكر الوطني المعاصر. استشهد الأستاذ الباحث على كون بعض الرموز، في قوة تأثيرها، كأنها حاضرة بالفعل، بقولة للكاتب الفرنسي الكبير بول ريكور في كتابه: "الذاكرة، التاريخ والنسيان"، "لغز الذاكرة هو أن المحفوظ والمنقوش الذي يبقى فيصبح معه الماضي حاضرًا"، فالأمير المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي حاضر بقوة في الذاكرة التاريخية المغربية، إلا أن كثيرًا من كتب التاريخ تنكبت الحديث عنه، لقد أصبحت الحاجة ماسة إلى تضمين الكتاب المدرسي في المدرسة المغربية سيرة هذا البطل بلا منازع. وذكر الأستاذ الباحث ببعض القضايا المرتبطة بهذه الشخصية التاريخية التي أثارت جدلاً في العهد القريب كملف الغازات السامة التي ألقت بها طائرات الحرب الاستعمارية الإسبانية وخلفت آلاف الضحايا، كذلك مسألة نقل الرفات التي ما زالت لا تراوح مكانها من النقاش والفعل.

خلاصة

إن هذه الندوة، على العموم، تُعَدّ جامعة خاصة من حيث كونها انصبت على استعادة تاريخ وسيرة البطل المغربي الكبير الأمير المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي. ولقد حققت هدفها العزيز وهو تذكير الأساتذة المتدربين المقبلين على التدريس بقيمة هذه الشخصية، من وجهة، واستطاعت أن تميط اللثام عن بعض المجهول، كما أثارت من وجهة أخرى تساؤلات، ودعت إلى مزيد من تعميق البحث والنظر في سيرة هذا البطل الكبير الحاضر بقوة في الذاكرة الوطنية.